فقه النفس

{اقرأ} - {ونفس} - {لتعارفوا}

تطبيقات: تهنئة غير المسلمين في أعيادهم الدينية

الأمر ليس تهنئة فقط، بل منهجية استدلال وتفكير وعقل، وعنوان دين وشخصية وهوية

هذه رسالة جامعة لأكثر من رسالة سبق نشرها في هذا الأمر
وقد جمعتها وأعدت صياغتها، مع بعض التحديثات
ولهذا، فقد تجدها بعض النفوس طويلة
وهي كذلك
لأني فصّلت فيها لاختلاف الجمهور المخاطَب

أسئلة تحاول إجابتها هذه الرسالة:

- ما قصة الحرب الموسمية التي تنشب قرب نهاية العام الميلادي؟
- لماذا تتكرر الحرب الموسمية مع أن أمرها ينبغي أن يكون معلوما ومحسوما؟
- ما هي أشكال هذه الحرب الموسمية؟ ومن هم أطراف النزاع فيها؟
- كيف يمكن أن أفهم الأمر فهما لا يجعلني من الشاكّين المتغيرين المتلونين؟
- كيف يمكن أن أفكر في أمر كهذا؟ وكيف يمكن أن أتفاعل مع الأفكار المختلفة؟
- ما الأسس التي عليّ الانطلاق منها قبل التفكير في أي شيء عموما، وفي تهنئة غير المسلمين نموذجا؟
- ما الذي يعلّمنا إياه الإسلام لبناء نفسية سويّة قويّة مطمئنّة؟
- هل الشعور بالغربة، ومحاولة الوسطية، أمر سهل؟
- إذا لم تكون الوسطية سهلة، فهل الحل هو في الكذب والمُخادَعة ومداهنة القطيع؟
- ما الفرق بين القراءة والتهجئة؟ وكيف يمكن إسقاط الفرق بينهما على ما نتعامل معه هنا؟
- تهنئة غير المُسلمين في أعيادهم الدينية: هل تستحق كل هذا الصداع؟ أليس هذا من تعقيد الأمور؟
- أليس هذا من الفتنة؟ ولماذا بذر الفتنة في أوطان مستقرة؟
- ألسنا نبحث عن التعايش المشترك والسلام العالمي؟
- هل فرغنا من كل مشكلاتنا لنتحدث في هذه المشكلة؟ الناس تلحد وأنتم تتناقشون في تهنئة مؤمنين!
- مللنا من كلام الشيوخ المتشددين الذين أرجعونا إلى الوراء
- كيف يمكن أن أفهم أمر تهنئة غير المسلمين في أعيادهم الدينية من منظور نفسي؟
- ولكن، أليس هذا استغلالا للتخصص النفسي في أمر ديني أو فكري أو سياسي أو غيره؟
- ما الذي يضمن أن لا أكون أنا، كاتب هذه الكلمات، أحد هؤلاء الذين يستغلون العلم لصالح أهوائهم؟!
- ما هي المُدخلات التي يمكن لها أن تؤثر في النفس اليوم؟ وكيف وصلنا إلى هنا؟
- كيف أنظر إلى نفوس جيل اليوم؟ وكيف وصلنا إلى هنا؟ وما هي المُدخّلات التي أثرت بالنفوس وشكّلتها؟
- ما هي المُخرَجات الطبيعية التي يمكن أن تنتج من تلك المُدخَلات؟ وهل يبقى بعد هذا ما يُستغرَب؟
- كيف ظهر لنا جيل متعايش مع الفطرة المشوّهة، لكنه نافر من الأمر الإلهي؟
- من هم دواعش التعايش؟ ولماذا اعتبرتهم دواعش؟
- كيف ظهر لنا جيل يرمي مخالفيه بالتطرف والدعشنة، مع أنه يمارس التطرف والدعشنة في أسوأ صورها؟

- ما صور الدعشنة اليوم؟ وهل يمكن أن يلتقي الشيخ والراقصة ومشاهير يوتيوب على أمر واحد؟
- ماذا عليّ أن أفعل إذا كنت أؤمن بما أؤمن به وأعتقد ما يخالف غيري؟ هل عليّ أن أنشغل بهم كثيرا؟
- عودة إلى أمر التهنئة إذن: كيف أبدأ التفكير في الأمر؟
- التهنئة: هل هي سلوك أو عمل أو فعل؟ أم ليست التهنئة بشيء يُذكَر؟
- إذا كانت تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية كذلك، فما الذي يقرر إن كانت صائبة أم خاطئة؟
- ولكن مهلا! هل من المهم أصلا العناية بكون تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية صائبة أم خاطئة؟
- هل التهنئة مجرّد كلمات لا تُحدِث أي أثر في النفس أو في نفوس المُخالفين؟
- هل أنا أعني ما أقول أصلا؟ وهل أقول ما أعني؟
- ولكن إذا رجعنا إلى الدين، فإن الله لا يُحاسبنا على مجرّد كلمات، فالله يعنيه القلوب وما فيها!
- هل تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية تعني الإيجابية، أو موافقة الآخر على ما أهنئه أو أهنئها به؟
- ولكنها مجرّد كلمات، وأنا لا أعتقد بما أقوله من كلمات، ولا الآخرون المُخالفون يعتقدون بقولي أيضا!
- ولكن المُخالفين يهنئوننا بأعيادنا الدينية! فمن سوء الأدب والعشرة غير الطيبة أن لا نبادلهم التهنئة!
- بعض المُخالفين يتظاهرون معنا وينصروننا في كثير من قضايانا، فكيف يكون هذا موقفنا منهم؟
- ولكن ماذا عن الأقرباء والجيران ومن نتعامل معهم بشكل يومي؟ أليس الأمر أصعب مع هؤلاء؟
- ماذا لو قرر المُخالفون أيضا أن لا يهنئوننا بأعيادنا الدينية مثلا؟ ألن يزعجنا هذا ويُشعرنا بالضيق؟
- إذا كنتُ ضد تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية، فلماذا أعبأ بغيري إذا قاموا بتهنئتهم؟
- ولكننا نخسر كثيرا بعدم تهنئة غير المُسلمين، فنحن أحوج ما نكون أن نتألف قلوب الناس!
- ولكن المسلم اليوم ضعيف!
- عودة إلى سؤال: ما هو المرجع والمرد الذي يمكن أن أنطلق منه في الحكم على أي عمل أعمله؟
- هل المردّ هو الأخلاق أو الإنسانوية العالمية العولمية أو الدين أو المنفعة الشخصية ... أو ماذا؟
- ماذا إذا كانت الإنسانوية هو المرجع والمردّ؟
- ماذا إذا كانت المنفعة الشخصية هي المردّ؟
- ماذا إذا كان الدّين هو المردّ؟
- ماذا يقول الدين وأهل العلم في أمر تهنئة غير المسلمين في أعيادهم الدينية؟
- ما هو المنظور الديني لما يصدر عن النفس من أقوال وألفاظ وكلمات؟
- ما الذي نعرفه عن الحكم الشرعي في تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية؟
- ولكن ماذا عن صيام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء بعد علمه بتعظيم يهود المدينة له؟
- هل التهنئة من الأمور المباحة المسكوت عنها؟
- لكننا لا نعلم أحدا من رسول الله ﷺ ومن بعده من الصحابة والتابعين نهى عن التهنئة!
- هل يلزم الدليل الشرعي أن يكون أمرا صريحا أو نهيا صريحا؟
- ولكن الإسلام يجيز الزواج من الكتابيّة! فهل أتزوجها ولا أهنئها؟ كيف يُعقَل هذا؟
- أليس الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان، والإمام الشافعي فعل ذلك بين بلدين؟
- ما الذي أحتاجه إذا لم أفهم شيئا مما مضى ذكره في الرسالة هنا؟
- خلاصة: أين المشكلة في كل هذا؟ ولماذا كل هذا التعقيد والتفصيل؟
- ولكن ماذا عن أقوال المُخالفين لما جاء في هذه الرسالة من أهل العلم والدعوة والوعظ؟
- هل من نصيحة أخيرة وخاتمة؟

وغيرها من الأسئلة التي ربما وردت في تفاصيل الرسالة

بسم الله أبدأ

عندما تفقد النفس أصلها ومعرفتها بذاتها وهويتها
وعندما تنظر إلى ذاتها بعين الدونية والرفض والنقص
وعندما لا ترى لِذاتها ما يمكن أن تشعر بالانتماء له لتقوى به =
عندها، تبحث النفس عما تنتمي له، فلا تجد أسهل من الانتماء إلى القطيع
فكيف إذا كان القطيع يمثل ثقافة الغالب اليوم؟!

على أي حال

اقتربت سنة ميلادية جديدة، وبدأت الأسئلة ذاتها تتكرر
وبدأت الحرب الموسمية كالعادة
وأعني بها الحرب، نعم هي حرب، التي تنشب حول حكم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية
لكنها هذه المرة أطاحت برموز فاجأت بعض جماهير المتدينين
فسقط ذلك الداعية الذي كان متشددا في رأيه: حرمة تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية
وسقط ذلك الشيخ الذي كان يرى، حتى عام فائت، تحريم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية

سؤال: لماذا تتكرر الحرب الموسمية مع أن أمرها ينبغي أن يكون معلوما ومحسوما؟

- الاختلاف سنة إلهية باقية
- الجهل والفراغ: أعطِني جهلا وفراغا أُفسِد لك أمّة
- الصدق ضرورة، والصدق ليس أمرا سهلا على النفس
- كثير من النفوس تجهل أصول الدين، فإذا ما عرض لها أي جديد = بدأت التساؤلات من جديد
- كثير من النفوس، حتى إذا علِمت، فإن الدين عندها ليس بالأولوية التي تحتكم إليها
- كثير من النفوس، حتى إذا علِمت، فإنها اعتادت على الكلام الكثير والفعل القليل
- كثير من النفوس، حتى إذا علِمت، فهي لا تقوى على الإبانة والتعبير عما يخالف الآخرين
- كثير من النفوس، حتى إذا علِمت، فهي لم تزل تشك، وليست مطمئنة، فتجدد الكلام علّها تطمئن
- كثير من النفوس، حتى إذا علِمت، فهي تشعر بالغربة، وتضعف عن الأنس بالحق الذي لديها
- كثير من النفوس، حتى إذا علِمت، فهي لم تطمئن بالاشتغال بتزكية النفس كفاية
- الهداية بيد الله أولا وآخرا

سؤال: ما هي أشكال هذه الحرب الموسمية؟ ومن هم أطراف النزاع فيها؟

هذا ما نشرته من قبل:

أبارك لكم حلول الحرب الموسمية:
حرب أدعياء التجديد والتنوير والحداثة من جهة، ودعاة السلفية من جهة أخرى
حرب الإعلام العولمي من جهة، والإعلام السالب المسالم من جهة أخرى
حرب الأعياد الدينية المتنكرة بالاحتفالات الاجتماعية
حرب الإفتاء بغير علم والفتوى المعلّبة من جهة، والفتوى المؤصّلة لكنها على غير هوى الجمهور
حرب الأقليّة الغالبة من جهة، والغالبية المهمّشة من جهة أخرى
حرب الإنسان والإنسانوية من جهة، والإيمان والكفر من جهة أخرى
حرب التعايش والمداهنة والنفاق من جهة، وفقه الاختلاف من جهة أخرى
حرب التنوير الظلامي من جهة، والنور الإلهي من جهة أخرى
حرب الحرام والحلال من جهة والدين والتدين من جهة أخرى
حرب الدنيا وأهلها من جهة، والدين وأهل الآخرة من جهة أخرى
حرب السوق والشارع والمطعم والمقهى والمول من جهة، والنفس والبيت وأقل القليل من جهة أخرى
حرب الشبهة والشك والغموض من جهة، والعلم والوضوح من جهة أخرى
حرب الكذب والمخادعة من جهة، والصدق والشفافية من جهة أخرى
حرب الكنيسة الحاضرة من جهة، والمسجد المهجور من جهة أخرى
حرب الهزيمة النفسية من جهة، والهوية البين – بين من جهة أخرى
حرب البلاء والوراء من جهة، والولاء والبراء من جهة أخرى

لافتة: البلاء والوراء ليس خطأ إملائيا، ولكنه مصطلح استحدثته للسخرية من حال هؤلاء
فهم بلاء على الأمة، ويتقدمون إلى الوراء، لأنهم يتعاملون انطلاقا من اعتبار أن الأمة الإسلامية في الوراء

وعلى هامش الحرب الموسمية:
لم أقرأ، حتى لحظة كتابة هذه الكلمات، رأيا يُبيح التهنئة ويُجيزها، يقوم على نصٍ صحيح أو عقلٍ صريح
لم أقرأ سوى اجتهاداتٍ انفعالية ودفاعية، لا تقوم على أي فعل نبوي أو صحابي أو تابعي
لم أقرأ سوى محاولات منهزمة لتقديم إسلام ظريف حسب مواصفات العالم العولمي
لم أقرأ إجابات شرعية أو عقلية على خلوّ السيرة النبوية من أي تهنئة صريحة لنصارى نجران أو اليهود أو غيرهم
لم أقرأ إجابات نفسية توازن بين تمكّن الدين من النفس، وبين قدرة النفس على الاختلاف والتعارف والقسط

ولكن، ماذا عن العلماء الذين أفتوا بجواز التهنئة؟!
أقول: اسألوهم هُم عن هذا
اسألوهم: هل أعدّوا جوابا حقّا عندما يقفون أمام الله؟!

اللهم أرنا الحق وارزقنا اتباعه

سؤال: كيف يمكن أن أفهم الأمر فهما لا يجعلني من الشاكّين المتغيرين المتلونين؟

احترتُ هنا كيف أبدأ تناول الأمر المتكرر:

• إعادة نشر رسالة سابقة بعنوان [دواعش التعايش]؟!
ولكني أعلم أن كثيرا من الناس لا يصبرون على القراءة
• الاكتفاء ببيان الحكم الشرعي بين المؤيدين والمُعارضين؟!
ولكن هذا منثور ومنشور، ولا يكفي لبناء تفكير منهجي وعقل صريح مجرّد
ثم إنه سيظهر من يقول أو تقول: ومن أنت أمام الشيخ فلان أو العلامة فلان؟!
• الاكتفاء بعرض الشبهات والرد عليها؟!
ولكن هذا يشبه الأسلوب قبله، ولا يكفي هذا عند من ليس لديهم أصول ثابتة
• التفكير بصوت عالي مسموع؟! وهذا له فوائده، وربما يكون أنفع من غيره
• عرض الأمر من المنظور النفسي؟!
ولكن هذا سيُقابل من كثيرين باعتراض: ولكن هذا استغلال للتخصص لأجندات شخصية!

لافتة كلامية مصطلحية:
كلمة داعش أو دواعش كلمة مشكِلة؛ لكنني استخدمتها جريًا على مفهومها العام عند الناس، مع التحفظ

المهم أنني قررتُ أن أجمع بين هذه الاختيارات كلها

وسأبدأ بالتفكير بطريقة أراها منهجية، مع الإجابات والتعليقات تبعا لكل فكرة:

سؤال: كيف يمكن أن أفكر في أمر كهذا؟ وكيف يمكن أن أتفاعل مع الأفكار المختلفة؟

النفوس تختلف في تناولها للأمور
من النفوس من تكتفي بتقليد الشائع دون تفكير
ومن النفوس من تنطلق من محاولة تسكين الأمور وعدم الوقوع في مشاكل مع الآخرين
ومن النفوس من تهتم بأن يكون التفاعل مع الأمور منطلقا من منهج علمي، حيثما قادها = تصِل
وسأحاول أن أفكر معكم بصوت مسموع مقروء، بالطريقة التي أحب أن أفهم الأشياء بها

لافتات تأسيسية:

• الله أولا، ويتفرع عن هذا الأصل كل ما دون ذلك من تصورات للخلق والوجود ويوميات الحياة
• أجيال القرون الأخيرة نشأت على أن يكون الإيمان والدين والمعتقد هامشيا في الحياة، لا مركزيا موجها لها
• الإسلام، عند المسلمين، هو ميزان ما يجوز وما لا يجوز من العمل والفعل والقول والكلام واللفظ
• الإسلام، عند المسلمين، يُكرم الإنسان، ويأمر المسلمين بالعدل مع المُخالفين
• الإسلام يكفل للإنسانية الأمن والبر والعدل؛ ويصعب على أجيال اليوم تصور هذا في عالم يحكمه الكفر

• الإسلام يعلّمنا أن الكلمة أمانة، والقول أو اللفظ هو من العمل المُحاسَب عليه
• الإسلام يعلّمنا أن نعني ما نقول، وأن نقول ما نعني، ولا يجيز لنا سلوك المداهنة بحجة عدم تعقيد الأمور
• الإسلام يعلّمنا أن الغربة أمر طبيعي ومتوقّع، وهي صعبة
• الإسلام يعلّمنا أن الوسطية أمر صعب كذلك
• الإسلام يعلّمنا أن الأكثرية ليست حقّا بالضرورة، بل ربّما ارتبطت الأكثرية بالباطل وتسويقه غالبا

• الإيمان بالمعتقدات له صور مختلفة، فربّما ظهرت في صورة إنسانوية أو دين أو وطن؛ ولكل صورةٍ دواعشها
• حرية المعتقد ينبغي أن تكفل للجميع الشعور بالأمن، أقول: الجميع، لا لأفراد القطيع العولمي فقط
• القطيع له صور كثيرة، من أبرزها اليوم: صورة قطيع الإنسانوية العلموية الهوليوودية

• القراءة وليس التهجئة؛ بمعنى: أن الأصل أن نستكمل قراءة الصورة التي نحاول أن نحكم عليها
يقول الله: {ادخلوا في السلم كافة}، فلا يجوز أن نأخذ من الإسلام جزءا دون آخر
ولم نزل نرى بعض من يكتفون بآية {لكم دينكم ولي ديني} ويُعرضون عن {قل: يا أيها الكافرون}
أو {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} مع إغفال {إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها}
أو {لا إكراه في الدين} مع إغفال {قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ...}
أو {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} مع إغفال حقيقة أن رسول الله ﷺ لم يثبت أنه هنّأ غير المسلمين بأعيادهم الدينية!
وهذه الأمثلة وغيرها كثير
• الإسلام دين عظيم، يبني نفسا سوية في كل أبعادها، فيجعل الله أولا قبل أي مخلوق يمكن أن يتحول إلى طاغوت معبود، فهو يُعلي من قيمة الإنسان في علاقة خاصة مع الله دون رمز أو شخص أو غيره، وهو يُوصي النفس بالصدق فيما تعتقد وتفعل، لتكون سوية متناغمة بين الفكر والشعور والسلوك.
وإن دينا كهذا، ينبغي أن أعتز به ولا أشعر بالحرج منه أو الخجل من الانتماء إليه.

سؤال: تهنئة غير المُسلمين في أعيادهم الدينية: هل تستحق كل هذا الصداع؟ أليس هذا من تعقيد الأمور؟
الإجابة تعتمد على النفس واهتماماتها وطبيعتها
فإذا كانت النفس ترى أن الكلام مما يترجم هوية النفس ويُحاسب عليه = استحق الأمر العناء
وإذا كانت ترى الأمر مجرد كلام لا يعني شيئا، وأن المهم رضا الناس = لم يستحق الأمر العناء
أما أنا، فأحب أن أعني ما أقول، وأن يكون كلامي من هويتي التي تنطلق من ديني
وباختصار، فإن الأمر كما أراه، مثله مثل محاولة تذكير الناس بضرورة مراجعة:
لماذا يخرجون إلى أعمالهم يوميا؟ هل هم متأكدون من صحة اختياراتهم في مأكلهم ومشربهم وملبسهم؟
وكما جاء في الأثر: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا

سؤال: أليس هذا من الفتنة؟ ولماذا بذر الفتنة في أوطان مستقرة؟

• ما هو تعريف الفتنة؟ ومن الذي يقرر أو تقرر معنى الفتنة ومفهومها؟
• هل الفتنة هي مجرّد إعلان الاختلاف عن شركاء الوطن؟
• هل الفتنة هي مجرّد أن أقول ما أعتقد به ولا يكون على هوى البعض من مدّعي الوطنية؟

• ثم هل الأوطان مستقرّة حقيقة؟ هل الأوطان القوية حقا يقلقها أمر كهذا الذي نتحدث عنه؟
• هل الأوطان التي تعاني من طائفيات وعشائريات وفساد أموال وذمم متوقفة على أمر كهذا؟

سؤال: ألسنا نبحث عن التعايش المشترك والسلام العالمي؟

• ألا يقوم التعايش المُشترك إلا على أنقاض ديني ومُعتقدي؟
• ألا يقوم التعايش المُشترك إلا على أنقاض شعور الإنسان بالخشية على إعلان الذات والهوية؟
• وهل السلام العالمي يلزمه نزع سلامي الداخلي من أجل عالم لا يحترمني في عامة شؤوني؟

سؤال: هل فرغنا من كل مشكلاتنا لنتحدث في هذه المشكلة فقط؟
الناس تلحد وأنتم تتناقشون في أمر تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية!

• نحن نتناول كل ما نعتقد أنه من شأن الدين وما ينفع الناس
• هناك الكثير من الأمور التي نراها سخيفة ولا نأبه لها ولا نعيرها اهتماما
• أما عن الإلحاد، فنحن الذين نتصدى له ونقيم في بيانه والتحذير منه وعلاجه الدروس والدورات

والسؤال هنا: ماذا عنكم أنتم أيها المخالفون؟ ماذا صنعتم من أجل الحفاظ على أصول الدين؟!

سؤال: إذا كان بعض الناس يحتفلون مع غير المسلمين في أعيادهم الدينية، فأين مجرّد التهنئة من هؤلاء؟

• وهل تهنئة غير المسلمين في أعيادهم الدينية إلا صورة من صور الاحتفال؟

اعتراض: مللنا من كلام الشيوخ المتشددين الذين أرجعونا إلى الوراء

• بل نحن مللنا من هذا الموشّح وهذه المُخادَعة الوقحة
• ونحن الذين مللنا من نفوسٍ يصدر عنها مثل هذا الكلام وهم لا يعرفون الشيوخ ولا التشدد
نفوسٍ نشأت في بيئات لا دينية، عمليا، وربما بعيدة وعاصية، ثم تزعم الملل من شيوخ متشددين
• وكم قلت وكررت: أتحدى من يرددون هذا الكلام أن يثبتوا أنهم يعرفون شيخا واحدا بكل آرائه
وأتحداهم أن يربطوا بين أقوال شيوخ وبين حالة الرجوع إلى الوراء
فإذا سألناهم عن ذلك، رأيناهم يتخبطون في جعجعة وضوضاء لا تنتج نفعا ولا إجابات شافية
وربما كان من هؤلا من ملّوا، ولكن لأسباب أخرى، منها: تجارب شخصية سالبة مع بعض الشيوخ

سؤال: كيف يمكن أن أفهم أمر تهنئة غير المسلمين في أعيادهم الدينية من منظور نفسي؟

• المنظور النفسي هو الذي نحاول من خلاله أن نفهم ما يجري في النفس ويصدر عنها
• بعبارة أخرى: محاولة فهم العلاقة بين الفكرة والشعور والسلوك، وأثرها على الصحة النفسية
• وخلاصة الأمر أننا نحاول فهم: كيف أفكر وكيف أشعر وكيف أعمل ما أعمل

سؤال: ولكن، أليس هذا استغلالا للتخصص النفسي في أمر ديني أو فكري أو سياسي أو غيره؟

هذا السؤال يندرج تحت المُخادَعات والمُغالطات النفسية، من كثيرين، وليس من الجميع
فالبعض، وهم القليل فيما خبُرت ورأيت، يسألونه استعلاما واستفهاما حقيقيا مجرّدا
ولكن الأكثر يسألون هذا السؤال فقط إذا كانوا مُخالفين للمادة المتوقّعة أو المحتوى

وإلا، فأين أسئلة هؤلاء المُخالفين مِن بعض من ينتصرون لهم، لأنهم على أهوائهم

ومن ذلك، أن أحد الأخوة، وهو طبيب نفسي، ولا أعلم أنه درس تخصصا آخر دراسة أكاديمية
كان هذا الأخ قد حلّ ضيفا على المنطقة في زيارة لأسابيع
وفي أيام قليلة، قدّم محاضرات متنوعة ومختلفة في أكثر من بلد وعلى أكثر من منبر إعلامي
ومن العناوين: البحث عن معنى، تربية الطفل، العامل النفسي في الاختلافات الفكرية والسياسية
ولم أجد من هؤلاء، ولا من غيرهم، من يسأل عن علاقة التخصص بهذه العناوين!

ولكن، وعلى أي حال، فهذه إجابتي:

• الحكم على الشيء فرع عن تصوره = حكمي على أي شيء صادر عن تصوري لهذا الشيء
• والسؤال هنا: من أين يأتي تصوري الذي أنطلق منه للحكم على الأشياء؟
• في حالتي الشخصية، كنفس تحب ما تتعلمه وتحاول أن تحيا بناء عليه وأن تتصالح مع علمها =
فإنني أحب أن أنطلق من فهمي للنفس الإنسانية، كباحث عام، وكمتخصص في هذا الميدان
• من الكذب والمُخادعة، أو الجهل على الأقل، ادعاء النفس أنها تنطلق من حياد وموضوعية أصيلة
لأن النفس لا بد لها أن تنطلق مما تعتبره أسسا وأصولا ومُسلّمات، لقياس الجديد عليها
ومن هنا، فإن من الطبيعي أن أنطلق من تصور معين للنفس وما تفكر فيه أو تقوم عليه
• رأينا كثيرين ممن ينتسبون إلى التخصصات النفسية، باختلاف صورها، ثم هم يسيئون أيما إساءة
منهم من يخرج على الجمهور ليقنعهم بأن شخصية الحاكم هي أفضل شخصية من منظور نفسي
ومنهم من تخرج على الجمهور لتقنعهم بأن علم النفس يدل على أن الجماعات الإسلامية مريضة
ومنهم من يخرج على الجمهور ليحاول إقناعهم بأن علم النفس لا يعتبر الشذوذ الجنسي مرضا
ومنهم من تخرج على الجمهور لتحاول إقناعهم بأنه لا فرق بين الذكر والأنثى في علم النفس
ومنهم من يخرج على الجمهور ليقنعهم بأن فرويد أقرب إلى الأديان في نظره إلى طبيعة النفس
ومنهم ... ومنهم ... ومنهم ...

سؤال: ما الذي يضمن أن لا أكون أنا، كاتب هذه الكلمات، أحد هؤلاء الذين يستغلون العلم لصالح أهوائهم؟!
أحاول جاهدا مجتهدا أن أتجرد من هواي النفسي قدر استطاعتي، صادقا في هذا
ولا أزعم أن مجرّد هذه الدعوى التي أدّعيها تعني أنني أضمن التجرد والصدق، ولكني أرجو ذلك
وأدعو الله، جلّ في علاه، أن يفتح عليّ بالحق وأن يشرح صدري للحق وأن يُنطقني بالحق

ثم أليس من الإنصاف والعدل أن يستمع المخالف لما أقول أولا قبل الإقصاء؟
وهذا ما أرجوه وأدعو إليه

سؤال: ما هي المُدخلات التي يمكن لها أن تؤثر في النفس اليوم؟
هذا السؤال هو ما أسأله عادة بعبارة أخرى:
كيف وصلنا إلى هنا؟ كيف وصلت النفس إلى عالم اليوم؟

أقول: الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره
ومن الضرورة أن ننظر إلى ظروف نشأة الأجيال المتأخرة
فإذا فعلنا ذلك = وجدنا أنها:

- جيل ما بعد سقوط الخلافة، يلي ذلك الشعور بالانتماء إلى أمة خانعة ضعيفة متخلفة
- جيل ما بعد الاستعمار، أو الاستدمار، يلي ذلك إعلاء لقيم الأرض والحدود والوطن، على حساب الدين
- جيل ما بعد الاستشراق، يلي ذلك مخلفاته التي صاغت مناهج مدرسية وجامعية شكّلت نفوس جيل اليوم
- جيل ما بعد الحداثة، يلي ذلك اعتناق مركزية الإنسان ونسبية الأخلاق المؤدية إلى سيولة كل شيء
- جيل ما بعد النكبة، يلي ذلك الشعور بمرارة الهزائم، وعقدة فقد الوطن، ومحاولة الانتصار له بأي شكل
- جيل ما بعد الفضائيات، يلي ذلك الانفتاح على عوالم لم تكن النفس مهيئة للتعامل مع كل ما يرد منها
- جيل ما بعد الإنترنت والتواصل الرقمي، يلي ذلك ظهور قطيع نفوس تظن أنها حرّة مع أنها مُستَعبدة

وبعبارات أخرى، فإن النفس اليوم هي نتيجة لتراكمات من تاريخ بعيد وقريب:

أما التاريخ البعيد فإن النفس إما تجهله وإما تعرفه مشوها، خصوصا التاريخ الإسلامي.
وفي كلا الحالتين فإن النفس لا تنتمي إلى تاريخها الإسلامي الانتماء المطلوب
اللهم إلا الانتماء المتعصب الذي لا إيمان فيه ولا دينا حقيقيا.

وأما التاريخ القريب فإنه مليء بأفكار سلبية وصور مشوّهة:
لأمة إسلامية ضعيفة وعدو أو غرب ملحد لا ديني مادي استهلاكي
حيث تُعلي الثقافة الإلحادية المادية من شأن الإنسان على حساب الله الخالق والدين.

- الإعلام: المتحدث الرسمي باسم هذا العالم العولمي، يسوّق لكل ما لا علاقة له بالدين الحق
بل إن معظم ما يصدر عن الإعلام هو دعامة حقيقية لمركزية الإنسان والمادية وما يتعلق بهما
ولعل أبرز منابر الإعلام العولمي اليوم: هوليوود وما يصدر عنها وما يشبهها
ولا يقف الأمر عند الأفلام والمسلسلات فقط، بل إن الأمر يتجاوز ذلك إلى الروايات والقصص
فصار لدينا إعلام مرئي ومقروء، كله يدور في فلك إعلاء قيم الإنسانوية والمادية البهيمية
ثم تجاوز الأمر الأفلام والمسلسلات والروايات والقصص إلى الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي
- البيت وما فيه من أثاث ومتاع، وهو عادة صورة من صور مُخرجات الإعلام ومُنتجات السوق العولمي

• البيت ومن فيه من أب وأم وأشقاء وشقيقات وغيرهم
• المؤثر الخفي: السوق والشارع والمجالس الاجتماعية والمقاهي والنوادي = كلها تجمع ما سبق
• المؤسسة الدينية عموما، أو المسجد والمركز القرآني والجماعات الإسلامية:
أين هي؟ وما دورها؟ وما الذي توصله للناس؟
وبعبارة موجزة: هل المؤسسة الدينية دعوية؟ وإلى أي درجة هي متحررة من تأثيرات ما سبق؟!
• المدرسة والجامعة وما يتبعهما من المؤسسات الأكاديمية: هي أيضا نتيجة طبيعية لكل ما سبق
والمؤسسة الأكاديمية هي المصنع المنتج لكل ما يطلبه سوق الإعلام والعالم العولمي
وليس من المُستغرَب أن أجد مُخرَجات المؤسسة الأكاديمية تعاني جهلا مركّبا وعقد نقص
ومن الطبيعي أن تكون ثمة شهادات أكاديمية أصحابها لا يعرفون من الدين أقل القليل
• المؤسسة المهنية ومحيط العمل: وهذه أيضا متأثرةبا سبق، ومؤثرة فيه.
وكم رأينا من يعانون من الالتزام والشعور بالغربة لمجرّد أنهم يعلمون في شركات دولية ذات خلفيةفكرية لا دينية، لا يعنيها إلا المال والانتشار، دون أي اعتبار لإيمان أو دين أو عقيدة.

فإذا جمعنا المُدخَلات العامة والخاصة، والخارجية والداخلية، والعولمية والمحليّة = ظهر لنا ما يلي:

• المسلمون في ضعف، وهم المتخلفون المغلوبون، والغرب الملحد هو المتغلب المتقدم
ومن الطبيعي أن يشعر المتخلفون المغلوبون بأنهم في حاجة لاسترضاء الغالب المتقدم
• ظاهرة الإلحاد والتشكيك بالثوابت الإسلامية والسخرين من الدين وأهله
• النفس تبحث عن دين: سكر خفيف قليل التكليف
وبعباراة أخرى: الناس تبحث عن روحانية لا تتعب النفس ولا ترهقها
ولهذا نجد هوى النفس مع الروحانية اللادينية
وهكذا، نجد أن الهندوسية والبوذية والطاوية وغيرها من فلسفات شرقية تنتشر
وفي الدائرة الإسلامية نجد أن التصوف الفلسفي والتنوير المنتسب إلى الإسلام ينتشر
وكل ما سبق مما ينتشر اليوم = يدعو إلى استرضاء المخالفين ومداهنتهم في أمر الإيمان
• حالة الملل من الخطاب الديني والنفور من الشيوخ، سواء كان ذلك صدقا أم كذبا ومُخادَعة
ذلك الخطاب الذي شوهته عوامل داخلية من المتدينين أنفسهم أو خارجية من إعلام المُخالفين
• حالة العناد والتمرد الطاغية على إنسان اليوم، حيث التجرد من القيم صار هو شعار العصر
• حالة العداء لأهل الدين من أهل العلم والدعاة، والتي تبلغ حد إغاظتهم واستفزازهم ونكايتهم
• ظاهرة خلع الحجاب والسخرية من فرضية الحجاب الشرعي
• فرح عارم عند البعض لافتتاح سينما في بلاد الحرمين = جيل يقدّس الصورة الوهمية وأبطالها
• فرح عارم عند البعض لانفلات الأنثى تحت شعار تحرير المرأة وتمكينها
• حبس المعارضين وقتلهم، مع فرح عارم بتصدير المسيئين للدين على الإعلام الرسمي
• صداقة غير المسلمين صداقة ولاء وبراء، لا لشيء، إلا لأنهم ذوو خلق، أو زملاء مهنة
• مجاملات تمتلئ بالكذب في حياتنا الاجتماعية، مثل:
التحية التي تصحبها ابتسامة لا نعنيها، ومديح كاذب، بل نكاد نكره من نحييه أو نبتسم في وجهه
وكذلك عرض الأمر على الناس، كالولائم وغيرها، دون أن نقصد حقيقة دعوتهم
وكذلك قول البائع ((خليها علينا)) مع أنه لا يعنيها ولا يقصدها

الجاهات أو الوجاهات التي تجتمع لطلب عروس من أهلها، في حين الطلب سبق، والقبول تم
وغير ذلك من أفعال وأقوال صرنا نعرف أننا نكذب فيها، والآخرون يعرفون، وكله كذب في كذب

- مؤسسات أكاديمية تعنى بتدريس تخصصات تمتلئ بالكذب، مثل: الإعلام والتسويق والصحافة
ثم يُسوَّق خرّيجو هذه التخصصات على أنهم أهل اختصاصات هي التي تحرك العالم اليوم
- رفض مؤسسات عالمانية دخول المتحجبات أو المنتقبات إليها
- مدرسة عالمانية دولية، ترفض تصوير طالب مع زملائه لأنه ارتدى قميصا عليه حديث للنبي ﷺ
- انتشار مظاهر الاحتفال بعيد الميلاد في أماكن المسلمين، وخصومة الذين لا يحتفلون
- إرهاب الأكثرية المسلمة من قبل أقليات غير مسلمة في بلاد اسمها مسلمة = الأكثرية خائفة
- إرهاب طالبة أكاديمية مميزة في فرنسا بأنها لن تحضر حفل تكريمها إلا إذا نزعت حجابها
- إرهاب طالب جامعي متفوق في بلد مسلم بأنه لن يحصل على بعثته إذا لم يصافح معلمته

وغير هذا من الصور الكثيرة المنتشرة في هذا العالم المادي الملحد

فإذا أردتُ النظر إلى بعض مُخرجات ما سبق، رأيت ما يلي:

- جيلا يجهل دينه إلا من بقايا أعراف متخلفة أو تشويه إعلام السلطات الغالبة أو تربية جماعية حزبية سياسية
- جيلا يشعر بالخجل والدونية والنقص، فيحاول إلصاق نفسه بثقافة الغالب
- جيلا يعرف عن هوليوود ومنتجاتها، وينتمي لها، أكثر مما يعرف عن دينه وينتمي له
- جيلا يؤصّل معتقداته حسب أمريكا وثقافتها، والأمم المتحدة وقراراتها، والإنسانوية السائلة وأهوائها
- جيلا ينتمي إلى ثقافة الجمهور، أيا كانت، أكثر من انتمائه إلى الثقافة الحقيقية، أيا كانت تلك الثقافة

في جيل كهذا، من الطبيعي أن:

- تتفشى نفسية الدونية والمغلوبية والمقهورية
- تظهر عُقَدٌ يصعب حصرها، لكنها تظهر في شكل لطيف أو Cute
- يظهر من يشككون في الوحي الواضح القوي، في مقابل أضواء شجرة الميلاد المعبرة عن السلبية والمرونة

تبعا لما سبق، مَن هي النفوس التي رأيتُها تقول بإباحة تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية؟

- نفس جاهلة لا تعرف ما ينبغي معرفته من أمر الإيمان والاعتقاد والدين
- نفس ليست جاهلة كالنفس الأولى، لكن ربما لا يعنيها أمر الإيمان والاعتقاد والدين أصلا
- نفس ضحيّة لإعلام الغالب، هوليوود، نشأت أمام شاشات الأفلام الغربية التي أصبحت جزءا منها
- نفس لديها شيء من العلم الشرعي، لكنها ضعيفة نفسيا، تخشى الاختلاف والاعتزاز بالهوية
- نفس لديها علم شرعي مميز، لكنها ربما تأثرت نفسيا بنشأة مختلطة بثقافات عالمانية
- نفس عالمة أو واعظة، لكنها من وعاظ السلاطين التي يعنيها أن تُسمِع سلطانها ما يُرضيه
- نفس داعية أو عالم، نحسن الظن بها، تُريد أن تتألف نفوس الناس، خصوصا المخالفين
وهذا الصنف الأخير من النفوس هو الوحيد ممن نظن أن فيه شيئا من القوة النفسية

من الأمثلة على ما مضى:

• كثير من رموز مواقع التواصل الاجتماعي ممن أسميهم: غلمان التنوير والحداثة ومراهقو النهضة
يظهر عليهم بوضوح أثر النشأة أمام إعلام هوليوود والتأثر بثقافة الإنسانية العالمانية المادية
وهذا مُلاحظ بسهولة في منشوراتهم التي تزدحم بمُفردات الانهزامية والتثاقف والمُداهنة
• بعض غلمان يوتيوب الذين يتقلبون بشكل ظاهر بين ماضي متدين ملتزم، وحاضر عالماني
كان أحدهم من سنوات قليلة: جهادي شبه داعشي =
الآن يحصد ملايين المشاركات والمشاهدات، يستضيف أهل المغنى، ويضع بابا نويل في برنامجه
• أحد الدعاة الجدد في جزيرة العرب، بدأ بتفسير الأحلام والوعظ، ثم الإفتاء، وانتهى بالتطبيل
كان منذ سنوات قليلة يُفتي بحرمة تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية، واليوم يهنئهم بنفسه
• أحد رموز الليبرالية ونفاق الطواغيت في بلاد الحرمين، نشر تغريدة هذا نصها:
((الأعياد الدينية مناسبة للتعبير عن التسامح بين بني البشر على اختلاف مللهم، ففي النهاية كلنا خلق الله، كلنا عباد الله، فلنفشي السلام، وليملأ الحب القلوب..ميلاد مجيد وعام سعيد لكل من يؤمن بمباديء كل أنبياء الله.))
ولهذا الشخص سوابق كثيرة من تغريدات تُظهر نفْسَه المشوّهة المضطربة، ومنها هذه التغريدة:
((على بابي واقف قمرين. تطوف أغنية ملحم بركات هذه في ذهني كلما اقترب شهر رمضان أو عيد الفطر. فقمر مسلمي عصرنا ليس فلكيا بقدر ما هو سياسي أو طائفي))
على أي حال، هذه بعض الردود على تغريدته حول الأعياد الدينية:
((يقول فلان: نسبة الولد تذكرنا بالتسامح، ويقول الله: {تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا}. يقول فلان: النصارى يؤمنون بمبادئ الإنجيل. ويقول الله: {لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل}.))
وهذا رد آخر على تغريدته:
((لو كان لقطر يوم يحتفلون فيه بسب الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، من باب العادات والتقاليد اتباعا لآبائهم هل كنت تهنئهم من باب التسامح؟ فالله أعلى وأجل. لو كان لقبيلة ما يوم يحتفل فيه بسب جدك أو أمك بغض النظر عن تأويلهم لهذا السب هل كنت تبارك لهم من باب نشر المحبة؟ فالله أعلى وأجل ...))
• أحد دعاة الفكر والنهضة، ومن رموز الأدب الإسلامي ذي النكهة الحداثية والرواية الدينية
له شعبية واسعة وسط أفراد جيل البالغين والبالغات، والمُراهقين والمُراهقات
ومعروف بقلمِه الجاذب ونفَسِه المُشاغب للمؤسسة الدينية التقليدية، بأفكار فيها وفيها
يطلع على جمهوره بمنشورات تحتاج إلى نفوس قوية لفهم اضطرابها وتناقضاتها
فمنشور يفسر آيات القرآن بشيء من التأصيل، وآخر يدافع عن السنّة والبُخاري
ثم منشور يدعو إلى مشاهدة فيلم هوليوودي مع ثناء بالغ على المخرج والممثلة
نشر منذ سنتين: ((بالمناسبة .. لا يوجد نص شرعي (دليل من القرآن والسنة) يحرّم تهنئة المسيحيين بأعيادهم ... التحريم جاء من فتاوى لعلماء الدين. ملحوظة : علماء الدين، بشر.))
ثم ظهر هذه السنة بمنشور آخر، هذا نصّه: ((بصراحة مشغول جدا ولا وقت لدي لمعارك وبلوكات ... لكن لا يمكنني تفويت المناسبة دون مشاركة المنشور في ذكراه الثالثة ... كل موقعة كريسماس والكل بخير))
وسأتجاوز التعليق على كم المُخادَعات والمُغالَطات في هذه المنشورات

لكن سأتوقف مع تعليق يمثّل نوعية من المُعجبين بهذا الأدب وبذلك الفكر
وكان مما جاء في التعليقات: ((أنصح الذين لا يرون التهنئة أن يقرؤوا كتاب [السيرة مستمرة] وكتاب [شفرة بلال] وكتاب [قواعد العشق الأربعون] حتى نخرج من المذاهب الأربعة لأنها غير مقدسة، مع احترامي لهم جميعا))

• أحد الذين يظهر عليهم سمت الشيوخ المتدينين: لحية طويلة وثوب عربي، نشر على صفحته:
((في هذا الوقت من كل عام يتسلى البعض بالكتابة عن "حكم تهنئة المسيحيين بأعياد الميلاد"، وهم بين محرم لا دليل عنده إلا ما قاله ابن القيم في كتابه سيء السمعة والصيت "أحكام اهل الذمة" وبين مبيح معه أخلاق القرآن وقيمه الانسانية التي غفل عنها فقهاء الدم والكراهية.))
ولا تحتاج النفس كثير ذكاء وقليلا من تصفح صفحته الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي
لتكتشف أنه يسيء إلى أي مخالف له، من السابقين أو المعاصرين، بألفاظ ربما تصل إلى الفُحش

• أحد مشاهير الدعاة الجدد، ظاهره التصوّف ومُداهنة ولاة الأمر وعداوة المُصلحين المعارضين
نشر منشورا هذا نصه: (({والسلام عليّ يوم وُلدت} أهنئ إخوتي من المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت بعيد الميلاد المجيد))
ولا تحتاج النفس جهدا لتكتشف اقتطاع الآية من سياقها لمُخادعة النفس ومُداهنة المُخالفين
هذا المتسامح المتعايش لم يتمالك مرض قلبه، ولم يكتفِ بتعزية المسلمين عندما توفي أحد المفكرين الإسلاميين، فأصرّ بتغريدة قصيرة أن يغمز ويلمز بأن المُتوفّى من دعاة التكفير.
المتسامح المتعايش كان من المتصدرين في مؤتمر عُقد لإخراج السلفية من أهل السنّة والجماعة

• معهد شرعي في بلد عربي، ذو نفس صوفيّ لا تخطئه نفس صادقة مبصرة
نشر القائمون عليه ما يلي:
((اليوم موعدنا بمناسبة المولد العيسوي. في معهد ... ، قراءة منظومة البلسم في ذكر عيسى بن مريم.
بحضور الشيخ ... وعدد من أهل العلم. الدعوة عامة للرجال والنساء))

• أكاديمي متخصص في مقارنة الأديان، من أشد المُداهنين والمُنبطحين أمام المُخالفين
لا يلبث يُطالع جمهوره بآراء ومنشورات صادمة ترفض تكفير المسيحيين وأهل العقائد المُخالفة
هو ذاته من نشر يوم مات ستيفن هوكنج: ((في ظلال ستيفن هوكنج أعظم علماء الفيزياء في عصرنا أسأل الله أن يرحمه ويرزقنا عقلا كعقله))

• وأخيرا، مؤسسة دينية عريقة، ودائرة إفتاء في بلد مسلم وغالبه من المسلمين =
تطلع على جمهورها بمنشورات ومواد مرئية متكلفة ومكثفة
يظهر على دائرة الإفتاء هذه، وعلى القائمين عليها، الضعف الشديد في مواجهة توقعات الجمهور
كما يظهر عليها وعلى القائمين عليها المُداهنة الشديدة للمخُالفين في من شركاء الوطن
كان من أواخر ما صدر عن هذه الدائرة ما يلي:
أولا) تبرأت من شيخين لقولهما: ((المسيحيون كفار بنص القرآن لكنهم شركاء الوطن))
فالمؤسسة الدينية لا تحسن التعايش مع بعض مخالفيها ممن ينتسبون لها = فتتبرأ منهم
ثانيا) تهنئة المسيحيين بأعيادهم بشكل مكثف ومتكرر
ثالثا) منشور نصه: ((الولاء للوطن وليس لفرد أو جماعة)) متغافلة أن ولاءها لطاغوت بلدها

وعلى هامش ما سبق أيضا:

• فرق بين نفس أو نفوس: تنطلق من الإسلام على أنه هو الأصل
ونفس أو نفوس: تعتقد أن الإنسانوية والحداثة والعالمانية هي الأصل، والإسلام تابع ضعيف
• فرق بين نفس أو نفوس: تنطلق من الدين كما نعرفه من نصوص القرآن والسنة النبوية
ونفس أو نفوس: تنطلق من الإنسانوية المشوّهة والحداثة والعالمانية وقيم الغرب اليوم
• فرق بين نفس أو نفوس: تنطلق من الإسلام
ونفس أو نفوس: تنطلق من الإسلام التنويري وتشويهات الحداثيين ومُدّعي التجديد الديني
• فرق بين نفس أو نفوس: نشأت على القرآن والسنة النبوية الصحيحة
ونفس أو نفوس: نشأت أمام أفلام هوليوود، تتغنى بها وتعرضها لجماهيرها، ولا تستحيي أن تعلن ضعفها أمام أضواء هوليود، ولا تقوى أن تعلن تأثّمها من ذلك كله، ثم تقوى أن تتجرأ على كل من سبق من الأمة الإسلامية: رسولا وصحابة وتابعين وعلماء ... !!!
• فرق بين نفس أو نفوس: تصحب دينها وهويتها معها حيثما كانت، معتزة بإيمانها ودينها وعقيدتها
ونفس أو نفوس: تنهزم أمام إعلام عالماني عولمي غربي، وفي مدارس دولية عالمانية، وكذلك الجامعات، والأسواق وغيرهم، فتغفل عن دينها وهويتها، وتسقطهما أمام هذا كله.

حتى هنا، نتصور أن يكون أفراد هذا الجيل ممثّلين لنفسية الإنسانية والتعايش وقبول الاختلاف

لكن الأمر ليس بهذه البساطة والسذاجة والسهولة
فإن جيل القطيع يمكنه أن يتحول بطرفة عين إلى قطيع من المتشددين المتطرفين
أو بعباراتهم: دواعش

فيخرج من هذا القطيع:

• أفراد يفتقرون لأقل القليل من فقه الاختلاف، إذا ما خالفناهم في حلّ الموسيقى وحرمتها مثلا
• أفراد يُرهبون مخالفيهم إذا هم لم يكونوا نسخا ممسوخة منهم، ولكن إرهابهم إرهاب مقنع بقناع عولميّ
• أفراد يُرهبون مخالفيهم ليتهموهم بأنهم دواعش إذا هم لا يهنئون المسيحيين أو لا يُكفّرون الدواعش!

أفراد هذا القطيع هم إنسانيون تعايشيون تنويريون، ولكن بشرط واحد:
أن يعتقد مخالفوهم عقيدتهم الإنسانية التعايشية التنويرية، ولا يخالفوهم فيها قيد شعرة

أما أن نختلف معهم في تعريف الإنسانية والتعايش والتنوير
فهذا يعني أن يُشهر هؤلاء أسلحتهم، ليُرهبونا إرهابهم الخاص
إرهاب بأسلحة متطورة متنوعة مدمرة، ومن صورها:

• إعلام هوليوودي
• بدلة إفرنجية ورباط عنق، أو فستان أنيق
• سلطة غالبة متدينة بدين العالم العولمي
• صورة مصممة بطريقة محترفة

• موسيقى تصويرية موجّهة

هذا ما حصل، ولم يزل يحصل، في الإعلام الموجّه اليوم
فإذا لم تؤمن أو تؤمني بما يؤمن به هؤلاء، فأنت إرهابي داعشي، وأنت إرهابية داعشية
إذا لم تنشر أو تنشري أغنية الكريسماس الإسلامية، فأنت كذلك
إذا لم تعلن أو تعلني انتماءك إلى جاهلية القطيع، فأنت كذلك
إذا لم تهنئ أو تهنئي مخالفي دينك بأعيادهم الدينية، فأنت كذلك

وهكذا، تطلع علينا مخلفات الأمراض النفسية في صور مختلفة:

• فتوى من داعية تنويري أو شيخ Cool من مشايخ السلطان
• مادة مرئية على موقع YouTube من أحد غلمان التنوير والحداثة ومراهقي النهضة
• مادة مرئية، بتقنية محترفة، من فضائية حكومية أو خاصة عالمانية، تحاول إرغام الجميع على اعتقاد معين

باختصار: هؤلاء دواعش من نوع جديد خاص مبتكر:
دواعش أمريكان، دواعش إنسانويون، دواعش تعايش، دواعش كريسماس، دواعش Cool

ولا يتوقف الأمر هنا أيضا
فإن داعشية هؤلاء لا تقتصر على إرهاب المخالفين بوصمهم بالداعشية
لكنهم متطرفون على كل حال
فهم عاجزون عن الوسطية في التعامل مع المخالفين

يصعب عليهم البر والقسط مع مخالفي الإيمان والمعتقد من جهة، والوضوح مع النفس ومعهم من جهة أخرى
يصعب عليهم تصور سهولة بناء علاقة طيبة بغير المسلمين، مع اعتزاز النفس بإيمانها ودينها وعقيدتها

بعبارة موجزة: هؤلاء الدواعش لا يتقنون إلا التطرف، إما إفراط في الرفض، أو تفريط في العقيدة
فهم دواعش على أي حال

وانتظروا قريبا، حين يخرج علينا بعض هؤلاء الدواعش ليرهبونا إذا خالفناهم في تهنئة الشواذ جنسيا بزواجهم
نعم، لا عجب، ولا تعجبوا.

إن الشذوذ الجنسي أقل شأنا في ميزان المعصية من الشرك بالله أو الاحتفال بميلاد ابن الله!
ومع هذا، إذا قرر أفراد القطيع أن يعترفوا بزواج الشواذ جنسيا، فإنهم سيعتبرون عدم تهنئتهم بالزواج داعشية
وعندها، سيُرهبون مخالفيهم، الذين هم نحن، إذا لم نهنئ الشواذ جنسيا بهذا الزواج الآثم

لافتة: ممارسة الشذوذ الجنسي كبيرة من الكبائر، أما القول بحلّه فهو قول كفري
وشتان بين هذا، وبين القول بأن لله ابنا، أو أن الله ثالث ثلاثة، أو أن مريم العذراء عليها السلام هي أمّ الرّب

وهذه رسالة أوجهها لهؤلاء الدواعش الجدد:

إياكم أيها الدواعش أن ترهبونا بتصنيفاتكم الداعشية

ولا تلعبوا معنا هذه اللعبة الداعشية المكشوفة

ولا تمارسوا ممارسة داعشية لمجرد كونكم من أفراد القطيع الداعشي الأمريكي العولمي اللطيف

وكما أرسلت لهؤلاء الدواعش رسالة

فإنني أقول لكم أنتم أيها المؤمنون المتدينون بما تعتقدون أنه الحق، وأنا منكم بإذن الله

ولمن يشغلون أنفسهم بمحاولة إقناع المخالفين، من هؤلاء الدواعش أو المهزومين دينيا أو نفسيا

صدقوني؛ أريحوا أنفسكم من عناء إقناع أمثال هؤلاء بما تعتقدون

أعفوا أنفسكم من محاولات إقناع المخالفين بما يلي:

• أن الإيمان بالله وتوحيده هو الأصل، ومنه ننطلق في كل تعاملاتنا مع النفس والآخرين
• أن ما نقوله هو انعكاس لأفكارنا ومشاعرنا التي نعنيها، لأننا جادون، ولسنا عبثيين ولا هزليين بشأن ديننا
• أن خلط الآخرين أعيادهم الدينية بأعراف اجتماعية لا يحيل الأمر إلى ممارسة غير دينية، فهذا شأنهم
• أن تهنئة غير المسلمين بأعيادهم غير إسلامية وغير شرعية
• أنه لم يصح، أبدا، أن رسول الله ﷺ هنّأ غير المسلمين بأعيادهم
• أن يوم ميلاد المسيح عيسى، عليه السلام، لم يصح أنه كان في يوم الاحتفالات المعروفة اليوم
• أن أصل شجرة الميلاد وثني
• أن موسم عيد الميلاد ما هو إلا موسم تجاري لإشغال النفوس بشهوة التسوق التي لا نهاية لها

=

أو غير ذلك من أسباب عقلية كافية لمن يتدبرون أو يتفكرون أو يعقلون

أكرر: أعفوا أنفسكم من محاولات علاج هؤلاء مما يعانونه

هؤلاء ضحايا عقود من الهزيمة النفسية التي أنتجت صورا متنوعة من الأمراض الشخصية

هؤلاء يعانون مما هو أعمق من مجرد خلل يعالجه حوار هادئ أو خطاب عقلي عابر

هؤلاء يغرقون في بئر سحيقة، أعلاها أضواء هوليوود، وأدناها إدمان الاستهلاك العولمي، وبينهما عُقد كثيرة

وحتى يهدينا الله، ويهدي هؤلاء، إلى كلمة سواء:

اقبلوا أنفسكم أولا، ثم اقبلوا أن تختلفوا عن هؤلاء وغيرهم، واقبلوا أن يختلفوا هم عنكم

والقبول لا يعني الموافقة بالضرورة، بل يعني أن لا نُكره الأخر على ما نعتقده لنعيش معهم جنبا إلى جنب

وقد قالوا قديما: أصلح نفسك، وادع غيرك، ودع القافلة تسير

وعلّموا أنفسكم، قبل أن تعلّموا غيركم من أبنائكم وبناتكم وتلاميذكم ومريديكم، أن:

• الإيمان بالله وتوحيده هو أصل الأصول التي نحيا بها ولها
• السوية النفسية هي في اتزان النفس بين الفكرة والشعور السلوك، وعزة النفس عرَض لهذه السوية
• البر والقسط مع المخالفين، مطلب شرعي في الإسلام
• النفس السوية هي التي تقوى على الوسطية
• الإبانة عما في النفس، والتعبير بوضوح للآخرين، هو تقدير للنفس، وللآخرين

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارقنا اجتنابه
اللهم أعزنا بالإسلام وأحينا به حياة طيبة سوية مطمئنة
اللهم أشغلنا بك عمن سواك

والآن إلى الموضوع مباشرة، ونبدأ بكيفية النظر إلى تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية في ذاتها

سؤال: التهنئة: هل هي سلوك أو عمل أو فعل؟ أم ليست التهنئة بشيء يُذكَر؟
بعبارة أخرى: أليست التهنئة مجرّد كلمات؟

• هل التهنئة من العمل الذي تُحاسب عليه النفس، شأنها شأن أي لفظ آخر؟
• الإجابة الطبيعية المنطقية: نعم، التهنئة سلوك وعمل وفعل من الأفعال التي سأُحاسَب عليها
• الاستثناء عن هذه الإجابة: النفس التي لا يعنيها ما يصدر عنها من سلوك أو عمل أو فعل

وهذا من شأنه إثارة سؤال حول مدى سويّة هذه النفس ومُخادعتها خلف قناع الذكاء والمرونة

سؤال: إذا كانت تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية كذلك، فما الذي يقرر إن كانت صائبة أم خاطئة؟
بعبارة أخرى: ما المرجع الذي أرجع إليه، وما المَردّ الذي أردّ إليه أفكاري وأفعالي؟

لا بد للنفس من مرجع ترجع إليه في أمورها وتفاصيل حياتها، وإلا فإنها ستضطرب بين مرجع وآخر
وسأعود للإجابة عن هذا السؤال لاحقا

سؤال: ولكن مهلا! هل من المهم أصلا العناية بكون تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية صائبة أم خاطئة؟
• نعم، إذا أردتُ لنفسي أن تتناغم بين فكرها وشعورها وسلوكها، وهذا ضرورة للصحة النفسية
• نعم، إذا أردتُ لنفسي أن يكون لها شخصية وكيان ووجود
• نعم، إلا إذا أردتُ أن أفقد ما سبق؛ وهذا لا يمنع أن كثيرا من النفوس اليوم لا يعنيها ذلك كله

سؤال: هل التهنئة مجرّد كلمات لا تُحدِث أي أثر في النفس أو في نفوس المُخالفين؟
• التهنئة في لسان العرب: هنأ = صار سائغا سارا للنفس لا يلحقه ضرر أو مشقة
هنأتُ فلانا أو فلانة = دعوت له أو لها بالمسرّة فيما يفعل أو تفعل

• الاعتناء بمعنى المفردات يصدر عن نفس جادة تعني ما تفعل أو تقول
مع لفت النظر إلى خطورة أن يبلغ الأمر حد الوسوسة
• لا يقول بهذا إلا من أرادوا للنفس أن تتحول إلى كائن بهيمي مادي، وجرّدوها من القيمة والمعنى
• بل حتى البهائم تتأثر بما يصدر عنها وعن غيرها، وتؤثر بغيرها بما يصدر عنها
• إن ممّا يُسلّم به أهل علم النفس، على اختلاف مدارسهم، أن للسلوك أهمية
فأهل المدرسة التحليلية يعتبرون الكلام مما يعين على تشخيص النفس المتكلمة به
وأهل المدرسة الإدراكية والإنسانية والمعرفية يعتبرون الكلام مشخصا ومؤثرا في آن واحد
وأهل المدرسة السلوكية يرون أن الكلام مؤثرا في نفس المتكلم أو المتكلمة والآخرين أيضا
• هذا كله في علم النفس الحديث فقط
فكيف إذا استدعينا النصوص الدينية: قرآنا وسنة، التي تعظّم من شأن الكلام وأثره
• الخلاصة هنا: التهنئة، شأنها شأن ما يصدر عن النفس من سلوك إرادي، تؤثر في النفس والآخرين

سؤال: هل أنا أعني ما أقول أصلا؟ وهل أقول ما أعني؟
• إذا كانت التهنئة: ((هنيئا لك هذا العيد))، فهل أنا أعتقد حقا بأن في العيد هناء؟
• إذا كانت التهنئة: ((عيد مُبارك))، فهل أنا أبارك للآخر هذا العيد وما فيه وما وراءه؟
• إذا كانت التهنئة: ((عيد سعيد))، فهل أنا أرى السعادة في عيد كهذا، لي أو للآخر؟
• إذا كانت التهنئة: ((كل عام وأنت بخير))، فهل أنا أعني ما أقول؟ هل الآخر بخير على حاله؟
• هل يجرؤ القائلون بجواز تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية أن يهنئوهم بعبارات مثل:
((كل عام وأنت في سعي إلى الحق أو الهداية))
((كل عام وأنت في طلب للحق الهداية))
((كل عام وأنت على ملة إبراهيم، عليه السلام))
((كل عام وأنت في اتباع حق للمسيح، عليه السلام))
((كل عام وأنت إلى الإسلام أقرب))؟

سؤال: ولكن إذا رجعنا إلى الدين، فإن الله لا يُحاسبنا على مجرّد كلمات، فالله يعنيه القلوب وما فيها!
سأؤجل الحديث في أمر الدين كمرجعية، ولكن سأكتفي هنا بسؤال مهم:
كيف سأثق بأي كلام يصدر ممن لا يعني ما يقول لأن المهم هو ما في القلب فقط؟
وأي علاقات تلك التي ستقوم على بواطن النفوس لا على ظواهر ما يصدر عنها؟

إذا افترضنا جدلا أن تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية لا أثر لها، فهذا الافتراض له توابعه:
• لماذا نقول، إذن، ما لا أثر له أصلا؟
• هل هذا يعني أننا نلغو فقط: نفعل أفعالا لا معنى لها ولا قيمة؟
• هل هذا يعني أننا نُلقي بالنفس في فخ الاضطراب النفسي = تسلك سلوكا دون إدراك لآثاره؟

إذا علمنا أن تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية لها أثر، فهذا له توابعه أيضا:
• أن يكون لها أثر إيجابي على النفس أو الآخرين
• أن يكون لها أثر سلبي على النفس أو الآخرين

• أن يكون لها أثر إيجابي على النفس وأثر سلبي على الآخرين، أو العكس

إذا كان لتهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية أثر إيجابي، على النفس أو الآخرين، فهذا له توابعه:
• ما هو الأثر الإيجابي على النفس؟
• ما هو الأثر الإيجابي على الآخرين المُخالفين؟
• أي أثر على النفس يمكن أن يكون إيجابيا إذا قالت ما لا تعتقده؟
• أي أثر على الآخرين المُخالفين يمكن أن يكون إيجابيا إذا علموا أن النفس تظهر لهم غير ما تُبطن؟
• هل الأثر الإيجابي أن تشعر النفس أنها لم تزعج المُخالفين وأنها غير مزعجة وأنها محبوبة؟
• هل إشعار الآخرين بالموافقة مع قول ما لا أعتقده يعود على النفس بالصحة النفسية؟
• هل إشعار الآخرين بالموافقه مع مُخالفة النفس يطمئن النفس إذا خلت بذاتها وخالقها؟

إذا كان لتهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية أثر سلبي، على النفس أو الآخرين، فهذا له توابعه:
• ما هو الأثر السلبي على النفس؟
• ما هو الأثر السلبي على الآخرين المُخالفين؟
• إذا كانت التهنئة تُشعر النفس أنها غير متصالحة مع ذاتها، فلماذا تفعل ما يدفعها للاضطراب؟
• إذا كانت التهنئة تُشعر الأخرين المُخالفين أنهم أمام نفس تُظهر ما لا تُبطن، فلماذا إشاعة النفاق؟
• ألا يُفرِغ هذا الأمر الساحة للمُجاملات غير الشرعية والنفوس غير القوية والثقافات غير السويّة؟

إذا كان للتهنئة بأعياد غير المسلمين الدينية أثر إيجابي وسلبي، على النفس أو الآخرين، فلهذا توابعه:
• قد يكون للتهنئة أثر إيجابي على النفس وأثر سلبي على الآخرين المُخالفين
• وقد يكون للتهنئة أثر سلبي على النفس وأثر إيجابي على الآخرين المُخالفين
• والسؤال هنا: ما هي الأولويات التي تجعل النفس تقدّم نفعا على ضرر أو ضررا على نفع؟

هل تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية تعني الإيجابية، أو موافقة الآخر على ما أهنئه أو أهنئها به؟
• نعم، ولا أظن أن ثمة نفسا تقول بغير هذا
والاستثناء الوحيد لهذا، فيما أعلم، أن تقول النفس ما لا تعني، وتعلم أن المخالفين كذلك

ولكنها مجرّد كلمات، وأنا لا أعتقد بما أقوله من كلمات، ولا الآخرون المُخالفون يعتقدون بقولي أيضا!
• هذا الكلام سيرجع بنا إلى ما ذكرناه من قبل من أهمية التناغم النفسي والصحة النفسية
• هل هذا هو المُجتمع الإنساني الذي نسعى لبنائه وتنشئة أبنائنا وبناتنا عليه؟
• هل من إشاعة التعايش المشترك وقبول الاختلاف أن ننشئ مجتمعا يخشى إظهار الاختلاف؟

ولكن المُخالفين يهنئوننا بأعيادنا الدينية! فمن سوء الأدب والعشرة غير الطيبة أن لا نبادلهم التهنئة!
• هذا شأن المُخالفين، وهم مسؤولون عن أعمالهم وأفعالهم وسلوكهم
أما أفعالي فهي مسؤوليتي أنا
• ليس من العقل أن أقابل الآخرين بأعمال لا أعتقد بها أو أفعال لا تعبر عن حقيقة نفسي

• المُخالفون أمام حالين: إما أن يكونوا يعنون ما يقولون، أو أنهم لا يعنون ما يقولون
فإذا كانوا يعنون ما يقولون، فإنهم أمام حالين أيضا:
إما أنهم يجهلون ما يفعلون، ويعملون ما يعملون بحسن ظنّ وطيب نية، وهذا شأنهم
هذا مع أنهم يقولون خيرا، لأنهم يوافقون ما نعتقد أنه حق، وليس الأمر كذلك بشأن ما نقول
وإما أنهم لا يأبهون لما سبق ذكره من ضرورة التناغم النفسي بين الفكرة والشعور والسلوك
وإذا كانوا لا يعنون ما يقولون، فهذا شأنهم أيضا، وهو أمر لا أحبه لهم كما لا أحبه لنفسي

بعض المُخالفين يتظاهرون معنا وينصروننا في كثير من قضايانا، فكيف يكون هذا موقفنا منهم؟
• هذا السؤال هو صورة من صور السؤال السابق، والإجابة عليه صورة من صور الإجابات السابقة
• ما يفعله المُخالفون، أيا كان، هو شأنهم هم، وهم المسؤولون عن أعمالهم وأفعالهم وسلوكهم
• ما يفعله المُخالفون مما يظنونه خيرا، وربما نظنه نحن أيضا خيرا، يُقابل بالخير ولا يُقابل بغير ذلك
• هل نُصرة الكفار لبعض حقوق المسلمين في الغرب مثلا تعني أن علينا أن ننصرهم في باطلهم؟
• هل نُصرة الشواذ جنسيا لحقّ المرأة المسلمة في حجابها تعني أن ننصرهم في شذوذهم؟
• هل نُصرة العالمانيين أو الليبراليين للأقليات المُسلمة هنا أو هناك يعني أن ننصر الحرية المطلقة؟
• هذا إذا صدّقنا أنهم ينصروننا في أصل ديننا، فكيف إذا كان الأمر غير ذلك؟
كيف إذا كان الأمر مجرّد نصرة لبعض مظاهر الحرية مع باطن العداوة لأصل الدين والعبودية لله؟

سؤال: ماذا سيكون رد فعل المُخالفين إذا لم نهنئهم؟
• مرة أخرى: هذا شأنهم أيضا
• ومع هذا فلا أحتاج أن أتخيل الأمر هنا
لأني عشته فعلا في بلادنا، وعندما أقمت في أمريكا مجاورا لغير مسلمين
• في الجامعة، كان لي زملاء وزميلات من غير المسلمين، ولم أهنئهم يوما بِعيدٍ من أعيادهم
• وفي حياتي الشخصية، جاورت غير المسلمين جيرة طيبة، ولم أهنئهم يوما بِعيدٍ من أعيادهم
• وفي أمريكا، كان جيراننا من غير المسلمين، لسنوات، ولم أهنئهم يوما بِعيدٍ من أعيادهم
• وفي كل هذا، كنا على صلة طيبة حقيقية بهؤلاء، دون الحاجة لقول ما لا أعتقده
• ما قلته هنا، سمعته من كثيرين غيري أيضا، أكّدوا نفس الفكرة: الصلة الطيبة دون المُداهنة والنفاق
• أما إذا كان الأمر غير ذلك، أي إذا انزعج المُخالفون من عدم التهنئة، فهذا شأنهم أيضا
ولن أنشغل كثيرا بنفوس يُرضيها أن أقول ما لا أعتقد، وأن أكون على غير سجيّتي وحقيقتي

سؤال: ولكن ماذا عن الأقرباء والجيران ومن نتعامل معهم بشكل يومي؟ أليس الأمر أصعب مع هؤلاء؟
• بلى، الأمر أصعب هنا، ولا أزعم أنه سهل على النفس = التوسط في الانفعال الشعوري صعب
• صعوبة الأمر لا تعني بالضرورة عدم جدوى القيام به أو محاولة فعله
• ألسنا نجد كثيرين من الأقربين والجيران يختلفون على ما هو أهون من هذا بكثير؟

سؤال: ماذا لو قرر المُخالفون أيضا أن لا يهنئوننا بأعيادنا الدينية مثلا؟ ألن يزعجنا هذا ويُشعرنا بالضيق؟
• أنا لا أنتظر هذا منهم أصلا
• إن كان الأمر كذلك، فسأكون مطمئنا وسعيدا لأنني أتعامل مع نفوس صادقة تظهر ما تُبطن

- ما أحبه لنفسي، أحبه للمُخالفين أيضا

سؤال: إذا كنتُ ضد تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية، فلماذا أعبأ بغيري إذا قاموا بتهنئتهم؟
- الأمر لا علاقة له بما يفعله غيري، بل بما أعتقده أنا عن نفسي أولا
- المشكلة الحقيقية هنا هي في انشغال الآخرين بما أعتقده أنا مما يُخالفهم ويشغلهم بي
- ما عدا ذلك: {كلٌّ يعمل على شاكلته}، وعند الله تجتمع الخصوم
- ولكن هذا لا يعني الإمساك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر = النصيحة
- يبقى أن تتعلم النفس التوسط بين الاشتغال بالنفس وبين النصح للآخرين

ولكننا نخسر كثيرا بعدم تهنئة غير المُسلمين، فنحن أحوج ما نكون أن نتألف قلوب الناس!
- فرق بين المُداراة والمُداهنة:

المُداراة مندوبة ولا تضرّ بالدين، والمُداهنة محرّمة لأنها صورة من صور النفاق
- المُداهنة هي المُداهنة، حتى لو تقنّعت بقناع تأليف القلوب ودعوة الناس إلى الدين
- ليس من العقل دعوة الناس إلى دين بوسيلة تنقض أصلا من أصول هذا الدين
- دعوة الناس إلى أي فكرة، لا بد أن تكون منطلقة من أصول تلك الفكرة، فكيف إذا كانت دينا؟
- ماذا جنينا من أهل المُداهنة المقنّعين بأقنعة تجديد الخطاب الديني ومن على شاكلتهم؟

ولكن المسلم اليوم ضعيف!
- وماذا عن مسلمو العصر الأول؟
- ماذا عن موقف جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، أمام النجاشي؟
- مرة أخرى: الوسطية صعبة، والتطرف في أي اتجاه من الاتجاهين: الإفراط والتفريط = سهل

وهنا نداء لدواعش التعايش = اصدقوا أنفسكم واعترفوا بضعفكم بدل أن تبغوا على مخالفيكم

والآن أعود فأسأل: ما هو المرجع والمرد الذي يمكن أن أنطلق منه في الحكم على أي عمل أعمله؟
هل المردّ هو الأخلاق أو الإنسانوية العالمية العولمية أو الدين أو المنفعة الشخصية ... أو ماذا؟
لا بدّ للنفس من مرجع أو مردّ، ولا تخرج المراجع التي ترجع إليها النفس عن هذه المراجع غالبا

سؤال: ماذا إذا كانت الأخلاق هي المردّ؟
- أي أخلاق؟
- وماذا عن أخلاق مثل: الأمانة والصدق والوضوح؟
- ماذا عن أمانة الكلمة، والصدق مع الله والنفس والآخرين، والوضوح مع المُخالفين؟

أليست هذه أخلاقا مُعتبرة؟ أليست هذه ضرورات للصحة النفسية؟

سؤال: ماذا إذا كانت الإنسانوية هو المرجع والمردّ؟
- أي إنسان؟ وأي إنسانية؟ وما هي الإنسانوية؟

• ماذا عن التعايش وتهنئة المُخالفين من أهل السخرية من الدين أو أهل الشذوذ الجنسي؟
ثم ماذا عن التعايش مع السلفيين أو المنتقبات أو المخالفين المتطرفين كما يصفهم البعض؟
• أليس هؤلاء جميعا أناس؟ أليسوا ينتمون إلى الإنسانية؟
• فإذا قلت: لا، صحيح أنهم جميعا أناس، لكن الحكم عليهم لا يستوي! إذن الأمر يحتاج إلى مرجعية
• ويبقى السؤال: من الذي يحدد ما هو الإنساني وما هو غير الإنساني؟
• هل الإنسان أولا أم الله والدّين؟ وربما يقترب منه هذا سؤال آخر: الوطن أولا أم الله والدّين؟
• ماذا لو كان لي صديق مريض أو صديقة مريضة، أيها أهم:
دعوته إلى الدين الحق وضمان النجاة، أم الطبطبة والمداهنة من أجل متعة صداقة لحظية؟

سؤال: ماذا إذا كانت المنفعة الشخصية هي المردّ؟
• أي منفعة؟ وما معايير المنفعة الشخصية؟ هل هي الصحة النفسية أم حفظ الدين أم ماذا؟

سؤال: ماذا إذا كان الدّين هو المردّ؟
• هنا يلزمنا أن نعرف ما قول الدين في الأمر؟ وهذا يلزمه بحث وطلب علم، ويلزمه صبر وطول نفَس
• وهنا نسأل: هل تهنئة غير المسلمين في أعيادهم الدينية هو أمر ديني أصلا؟
والإجابة هنا: نعم، إلا إذا اعتبرنا أن مجرد مرور الزمان على عيد ديني يحيله عادة اجتماعية!
ومع هذا، فإن تحول الأصل الديني إلى شيء من العرف الاجتماعي لا يغير الأمر
بل إن مجاراتنا لغيرنا في هذا ربما يعود علينا وعلى ديننا بالشي ذاته = العالمانية أو اللادينية
• يبقى أن نسأل الأسئلة المتعلقة بالدين وما يتعلق بها من إجابات وشبهات وردود

سؤال: ماذا يقول الدين وأهل العلم في أمر تهنئة غير المسلمين في أعيادهم الدينية؟
• سأمضي في التفكير الديني بالطريقة ذاتها التي سلكتها في أمر المنظور النفسي
• الله أولا، وكل ما سواه دونه، وليس من الدين تقديم رضا أي مخلوق على رضا الله
• أنا عبد، أسعى في حياتي كلها بما أمرني به الله الخالق المعبود
• من هنا: {قل إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}
وهذا هو الدين = حياة شاملة
• الأصل في الأشياء والمُعاملات = الإباحة، ما لم يكن ثمة نص يحرمها
• الأصل في العبادات والمعتقدات الدينية وما يتعلق بها = الحُرمة، ما لم يكن ثمة نص يبيحها
وبعبارة أخرى: الأصل فيما يتعلق بالإيمان والدين والعبادة = التوقيف على ما أقرّه الوحي

سؤال: ما هو المنظور الديني لما يصدر عن النفس من أقوال وألفاظ وكلمات؟
في القرآن:
• {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}
• {ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}
• {يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم}
• {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظُرنا}

في السنة النبوية:

- ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

وسبق أن قلنا: إن التهنئة شأنها شأن أي لفظ، هو من الأعمال التي تُحاسَب النفس عليها

- ((من صمت نجا))
- ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت))
- ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم))
- ((وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))
- ((وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه))
- ((لا يقولنّ أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقِست نفسي))
- ((لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان))
- وكان إذا عطس غير المسلم قال له: ((يهديكم الله)) وليس (يرحمكم الله))

سؤال: بعد هذا، ما الذي نعرفه عن الحكم الشرعي في تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية؟

- الحكم الشرعي لا بد له من دليل، فمن أين لنا بالأدلة الشرعية أولا؟
- والحديث عن هذا يستدعي العلم بأصول الفقه، وهذا مما يجهله كثير من غلمان المتصدرين
- الدليل الشرعي إما أن يكون نصّا قرآنيا أو نبويّا: فعلا أو قولا أو إقرارا، أو إجماعًا، أو قياسًا

ولكل دليل من هذه الأدلة ما يتعلق به من أدوات وعلوم ووسائل لاستنباط الحكم الشرعي

أما القرآن:

- {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير}.

والسؤال هنا: أليس إمساك النفس عن التهنئة في أعياد فيها شبهة كفرية صورة من صور البراءة منها؟

- {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير}.

والسؤال هنا: إذا استدعينا كل المُدخلات المؤثرة في نفوس الجيل اليوم،
هل يبقى من الصعب تصور لم لا نرى الثقافة الغالبة اللطيفة = كفرا؟

- {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون}.

والسؤال هنا: هل التهنئة في عيد كفري يمكن أن يكون من الولاء؟

• {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم}.

والسؤال هنا: هل يمكن أن تكون التهنئة من الموادّة؟ حتى مع الأقربين؟

• {وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره إنكم إذن مثلهم}

والسؤال هنا: هذا لمجرد الجلوس فكيف بالتهنئة؟

• {والذين لا يشهدون الزور}

قال المفسرون: الزور هو أعياد غير المسلمين
وعن محمد بن سيرين، رحمه الله، في هذه الآية أنه قال: هو الشعانين

وأما السنة النبوية:

لعل أبرز الأدلة وأظهرها وأقواها،
وهو الذي يدعو النفس لمُراجعة كيف يفكر المُداهنون والمميعون =
أنه لم يثبت، ولا مرة واحدة، أن رسول الله ﷺ هنأ غير المسلمين في عيد من أعيادهم
وقد جاور رسول الله ﷺ غير المسلمين سنوات طويلة، ولم يثبت أنه هنأهم ولو مرة واحدة
هذا ونحن نتحدث عن صاحب الخلق العظيم، ورحمة الله للعالمين، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

وقد سألت هذا السؤال غير مرة:
هل يُعقَل أن لا يَرِد نص واحد، عن صاحب الخلق العظيم، في تهنئة المُخالفين في أعيادهم الدينية؟
هل يُعقَل أن يكون ثمة نظرية مؤامرة من رواة الحديث ليرووا كل شيء إلا التهنئة؟
هل يُعقَل أن تحوي السنّة أدق تفاصيل حياة رسول الله ﷺ ثم تُغفل السنّة أمرا كتهنئة المُخالفين؟

اعتراض: ولكن ماذا عن صيام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء بعد علمه بتعظيم يهود المدينة له؟

والجواب عن هذا الاعتراض من أكثر من وجه:

الوجه الأول) فرق كبير بين عبادة الله شكرا له على تنجية أحد رسله، وأثر ذلك على الدعوة =
وبين احتفال ليس فيه حتى شبهة عبادة تعبيرا عن ذكرى ميلاد أحد رسله، مهما عظم مقامه

الوجه الثاني) إقرار رسول الله ﷺ لما قاله اليهود عن اليوم الذي نجّا الله فيه موسى =
وهذا يختلف عن جهلنا اليوم بحقيقة تاريخ ميلاد المسيح عيسى، عليه السلام

الوجه الثالث) اكتفاء رسول الله ﷺ بالصيام بعيدا عن اليهود، دون تهنئتهم أو مشاركتهم
والصيام ليس تهنئة للمُخالفين، بل هو على العكس من ذلك = مُخالفة لهم ببديل عن فعلهم

اعتراض: لكننا لا نعلم أحدا من رسول الله ﷺ ومن بعده من الصحابة والتابعين نهى عن التهنئة!
وهذا اعتراض لا يصدر إلا عن نفس جاهلة ساذجة سمجة أو متكلفة مُخادعة
وأقل ما يُقال في هذا الاعتراض: إنه استعباط واستغفال واستهبال لكلا المُخاطَبين والمُخالفين
والجواب عنه يرجع بنا إلى الحديث عن أصول الفقه وكيفية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها

والسؤال هنا: هل يلزم الدليل الشرعي أن يكون أمرا صريحا أو نهيا صريحا؟
والجواب: لا يلزم، وإلا، فإن معظم الأحكام الشرعية جاءت من أدلة غير الأمر أو النهي الصريحين
هذا ونحن نتحدث عن أمر الأصل فيه الإباحة، فكيف إذا كان الأصل فيه الحُرمة، كالتهنئة الدينية؟

والسؤال هنا: هل كل المُحرمات التي أجمع عليها المسلمون ورد فيها نصوص في النهي عنها؟
والجواب: لا طبعا، وهذه بعض الأمثلة على مُحرّمات ليس فيها نص صريح بالنهي عنها:
حرمة شرب البول وأكل العذرة، حرمة مشاركة النصارى في قداسهم، حرمة تهنئة العاصي بمعصيته، حرمة تقريع الطائع على طاعته، حرمة تأجير بيت على من علم أنه سيتخذه للدعارة أو الزنا، حرمة بيع عنب على من علم أنه سيتخذه خمرا، حرمة تعليق نجمة اليهود السداسية، حرمة لَبْس لباس الرهبان البوذيين وتقليدهم في طقوسهم، حرمة وطء الكتب الدينية بالقدم ... وغيرها

هذا كله في تفصيل أول دليل فقط:
عدم ورود تهنئة المُخالفين في أعيادهم الدينية عن رسول الله ﷺ

فكيف بالنصوص الواردة عن رسول الله ﷺ صراحة؟

ومن هذه النصوص:

• عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: ((إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر)) [الألباني – صحيح الجامع]

• عن ثابت بن الضحّاك، رضي الله عنه: إني نذرتُ أن أنحر إبلا ببُوانة؛ فقال النبي ﷺ: ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبَد؟)) قالوا: لا. قال: ((هل كان فيها عيد من أعيادهم؟)) قالوا: لا.
قال النبي ﷺ: ((أوفِ بنذرك، فإنه لاوفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) [الصحيح المسند]
لافتة: تجاوزت هنا الحديث عن الأمر بمُخالفة اليهود والنصارى

• وفي الحديث المعروف عندما دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ يوم العيد
وكان هناك جاريتان تضربان بالدف وتغنيان بين يدي عائشة رضي الله عنها
قال رسول الله ﷺ: ((إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا))؛ ولغة الخصوصية واضحة هنا

• ويشبه هذا النص نص آخر، وهو قوله ﷺ:
((يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق: عيدنا أهل الإسلام))؛ والخصوصية ظاهرة هنا أيضا

هذا في القرآن والسنّة، فماذا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى القرن الماضي؟
ما قُلناه في حق رسول الله ﷺ يحق في كل من جاء بعده من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ولهذا كان الأصل في الجواب المُعتاد عن حكم تهنئة المُخالفين بأعيادهم الدينية: حرام بالإجماع
ومن هنا أعجب ممن يطلب نصا صريحا في النهي عن أمر لم يكن يُتصور أصلا في القرون الأولى!

بل إن مما هو معروف عن العهدة العمرية لأهل الذمة أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه:
اشترط على أهل الذمة أن لا يظهروا أعيادهم في دار المسلمين.

وقد ذكرنا من قبل أن الصحابة، ممثّلين بترجمان القرآن، عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما:
فسّر قوله تعالى {والذين لا يشهدون الزور} أن من الزور أعياد غير المسلمين
وتبعه على هذا كثير من التابعين وتابعيهم

وأما عن ما وردنا من المذاهب الإسلامية المعروفة:

من مذهب أبي حنيفة رحمه الله:

((لو أن رجلا عبد الله تعالى خمسين سنة ثم جاء يوم النيروز وأهدى إلى بعض المشركين بيضة يريد تعظيم ذلك اليوم فقد كفر وحبط عمله ... إذا أهدى يوم النيروز إلى مسلم آخر ولم يرد به تعظيم اليوم ولكن على ما اعتاده بعض الناس لا يكفر ولكن ينبغي له أن لا يفعل ذلك في ذلك اليوم خاصة ويفعله قبله أو بعده، لكي لا يكون تشبيها بأولئك القوم. وقد قال ﷺ ((من تشبه بقوم فهو منهم)) ... رجل اشترى يوم النيروز شيئا يشتريه الكفرة منه وهو لم يكن يشتريه قبل ذلك إن أراد به تعظيم ذلك اليوم كما تعظمه المشركون كفَر، وإن أراد الأكل والشرب والتنعم لا يكفر)) [ابن نُجيم - البحر الرائق شرح كنز الدقائق]

من مذهب مالك، رحمه الله:

((المواسم التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه ... المواسم التي اعتادها أكثرهم وهم يعلمون أنها مواسم مختصة بأهل الكتاب فتشبه بعض أهل الوقت بهم فيها وشاركوهم في تعظيمها ... بل زاد بعضهم أنهم يهادون بعض أهل الكتاب في مواسمهم ويرسلون إليهم ما يحتاجونه لمواسمهم فيستعينون بذلك على زيادة كفرهم ويرسل بعضهم الخرفان وبعضهم البطيخ الأخضر وبعضهم البلح وغير ذلك مما يكون في وقتهم، وقد

يجمع ذلك أكثرهم، وهذا كله مخالف للشرع الشريف ... قيل لمالك: أترى بأسا أن يهدي الرجل لجاره النصراني مكافأة له على هدية أهداها إليه؟ قال: ما يعجبني ذلك، قال الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة} الآية. قال ابن رشد: فإن أخطأ وقبل منه هديته وفاتت عنده فالأحسن أن يكافئه عليها حتى لا يكون له عليه فضل في معروف صنعه معه. وسئل مالك، رحمه الله عن مؤاكلة النصراني في إناء واحد؟ قال: تركه أحب إلي، ولا يصادق نصرانيا. قال ابن رشد، رحمه الله: الوجه في كراهة مصادقة النصراني بيّن، لأن الله عز وجل يقول: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله} الآية ... سئل ابن القاسم عن الركوب في السفن التي يركب فيها النصارى لأعيادهم؛ فكره ذلك مخافة نزول السخط عليهم لكفرهم الذي اجتمعوا له ... وكره ابن القاسم للمسلم أن يهدي إلى النصراني في عيده مكافأة له، ورآه من تعظيم عيده وعونا له على مصلحة كفره. ألا ترى أنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم لا لحما ولا إداما ولا ثوبا ولا يعارون دابة ولا يعانون على شيء من دينهم؟ لأن ذلك من التعظيم لشركهم وعونهم على كفرهم. وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك؛ وهو قول مالك وغيره، لم أعلم أحدا اختلف في ذلك ... وقد كان عليه الصلاة والسلام يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم، حتى قالت اليهود: إن محمدا يريد أن لا يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه ... وأكثر أهل الكتاب يغتبطون بدينهم ويسرون عند قبول المسلم ذلك منهم، لأنهم أهل صور وزخارف)) [ابن الحاج المالكي - المدخل]

من مذهب الشافعي، رحمه الله:

((يُعزّر موافق الكفار في أعيادهم، ومن يمسك الحية ويدخل النار، ومن قال لذِمّيّ: يا حاج، ومن هنّأه بعيد، ومن سمّى زائر قبور الصالحين حاجا)) [الرملي - أسنى المطالب]

((يُعزّر من وافق الكفار في أعيادهم)) [ابن حجر الهيتمي - الإقناع]

((ومن أقبح البدع موافقة المسلمين النصارى في أعيادهم بالتشبه بأكلهم والهدية لهم وقبول هديتهم فيه. وأكثر الناس اعتناء بذلك المصريون. وقد قال ﷺ ((من تشبه بقوم فهو منهم))؛ بل قال ابن الحاج: لا يحل لمسلم أن يبيع نصرانيا شيئا من مصلحة عيده لا لحما ولا أدما ولا ثوبا ولا يعارون شيئا ولو دابة إذ هو معاونة لهم على كفرهم، وعلى ولاة الأمر منع المسلمين من ذلك، ومنها اهتمامهم في النيروز بأكل الهريسة واستعمال البخور في خميس العيدين سبع مرات زاعمين أنه يدفع الكسل والمرض، وصبغ البيض أصفر وأحمر، وبيعه والأدوية في السبت الذي يسمونه سبت النور، وهو في الحقيقة سبت الظلام، ويشترون فيه الشبث ويقولون إنه للبركة، ويجمعون ورق الشجر ويلقونها ليلة السبت بماء يغتسلون به فيه لزوال السحر، ويكتحلون فيه لزيادة نور أعينهم، ويدهنون فيه بالكبريت والزيت، ويجلسون عرايا في الشمس لدفع الجرب والحكة، ويطبخون طعام اللبن ويأكلونه في الحمام، إلى غير ذلك من البدع التي اخترعوها، ويجب منعهم من التظاهر بأعيادهم)) [ابن حجر الهيتمي - باب الردّة]

من مذهب أحمد بن حنبل، رحمه الله:

((لا يحلّ للمسلمين أن يتشبهوا بهم (يعني: غير المسلمين) في شيء مما يختص بأعيادهم، لا من طعام، ولا لباس، ولا اغتسال، ولا إيقاد نيران، ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة، وغير ذلك. ولا يحل فعل وليمة، ولا

الإهداء، ولا البيع بما يُستعان به على ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد، ولا إظهار زينة ... بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام، لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم ... بل قد ذهب طائفة من العلماء إلى كفر من يفعل هذه الأمور، لما فيها من تعظيم شعائر الكفر. وقال طائفة منهم: من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيرا ... قد قال غير واحد من السلف في قوله تعالى: {والذين لا يشهدون الزور} قالوا: أعياد الكفار. فإذا كان هذا في شهودها من غير فعل، فكيف بالأفعال التي هي من خصائصها؟ وقد رُوي عن النبي ﷺ في المُسند والسنن أنه قال: ((من تشبه بقوم فهو منهم)) وفي لفظ: ((ليس منا من تشبه بغيرنا))، وهو حديث جيد. فإذا كان هذا في التشبه بهم، وإن كان من العادات، فكيف التشبه بهم فيما هو أبلغ من ذلك؟ وقد كره جمهور الأئمة، إما كراهة تحريم أو كراهة تنزيه، أكل ما ذبحوه لأعيادهم وقرابينهم إدخالا له فيما أُهلّ به لغير الله وما ذُبح على النصب. وكذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم بإهداء أو مبايعة؛ وقالوا: إنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم، لا لحما، ولا دما، ولا ثوبا، ولا يُعارون دابّة، ولا يُعاونون على شيء من دينهم، لأن ذلك من تعظيم شركهم، وعونهم على كفرهم. وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك، لأن الله تعالى يقول: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}؛ ثم إن المسلم لا يحل له أن يعينهم على شرب الخمور بعصرها، أو نحوذلك؛ فكيف على ما هو من شعائر الكفر؟ وإذا كان لا يحل له أن يعينهم، فكيف إذا كان هو الفاعل لذلك؟ ... وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن يشركهم في العمل أو بعضه: أليس قد يعرض لعقوبة ذلك؟)) [ابن تيمية - الفتاوى الكبرى]

((وأما الاعتبار في مسألة العيد فمن وجوه:

أحدها: أن الأعياد من جملة الشرائع والمناهج والمناسك التي قال الله: {لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه}، كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه))

[ابن تيمية - اقتضاء الصراط المستقيم]

((وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثما عند الله وأشد مقتا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل؛ فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه، وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات، وتهنئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء، تجنبا لمقت الله وسقوطهم من عينه، وإن بلي الرجل بذلك فتعاطاه دفعا لشر يتوقعه منهم فمشى إليهم ولم يقل إلا خيرا، ودعا لهم بالتوفيق والتسديد، فلا بأس بذلك، وبالله التوفيق)) [ابن القيم - أحكام أهل الذمّة]

((وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوّض الحنفاء (يعني الموحدين) منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام مِنى؛ كما عوّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام، وعرفة، ومنى، والمشاعر)) [ابن القيم – إغاثة اللهفان]

لافتة في بيان مفردة الكراهة التي ربما فهمها البعض على أنها هيّنة:

((وقد غلط كثير من المتأخرين من أتباع الأئمة على أئمتهم بسبب ذلك، حيث تورع الأئمة عن إطلاق لفظ التحريم، وأطلقوا لفظ الكراهة، فنفى المتأخرون التحريم عما أطلق الأئمة الكراهة عليه، ثم سهل عليهم لفظ الكراهة وخفّت مؤونته عليهم، فحمله بعضهم على التنزيه، وتجاوز به آخرون إلى كراهة ترك الأَولى، وهذا كثير جدا في تصرفاتهم، فحصل بسببه غلط عظيم على الشريعة وعلى الأئمة)) [ابن القيم - إعلام الموقّعين]

ولكننا نحتفل بذكرى مولد رسول الله ﷺ، فما الضرر في الاحتفال بمولد عيسى عليه السلام؟
الاحتفال برسول الله ﷺ مُختلف عليه أصلا، فكيف بأمر غير معلوم تاريخه على وجه الدقة
ثم إن احتفالنا بمولد رسول الله ﷺ، إذا تجاوزنا بدعيّته، يخلو من أشكال المحرمات عند المخالفين

ولكن أليس تهنئة المُخالفين من البر والقسط الذي أمر به القرآن مع غير المحاربين؟

السؤال هنا: ما الفرق بين البر والقسط وبين المودة؟
والجواب عن هذا يكون بقراءة نصين من القرآن الكريم، ثم تأمل حال المُخالفين حسب الآيتين:

• {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}
• {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون}

ولكن الإسلام يجيز الزواج من الكتابيّة!
فهل يُعقل أن أتزوج من إنسانة أحبها وآمنها على أسرتي ثم لا أهنئها بعيد ديني من أعيادها؟

السؤال هذا يرجع بنا إلى الحديث عن صعوبة الوسطية بين الفكر والشعور والسلوك

وهنا يبرز أكثر من سؤال:
سأتجاوز أصلا معروفا في الإسلام، وهو أن إباحة الزواج يكون للرجل الذي تكون له قوامة البيت
وسأتجاوز تحريم الإسلام زواج المرأة المسلمة من رجل غير مسلم، خشية على تأثرها بدينه

ثم أسأل ما يلي:
على أي شيء بُني الزواج أصلا؟ وهل المسلم الذي تقدم للزواج من مسيحية يعني ما يقول؟
وهل اتفق المسلم والمسيحية اللذين تزوجا، في عالم اليوم العولمي، على أصول تربية الأبناء؟
وهل يقوم البيت على أصول الدين التي يرضاها الله ورسوله ﷺ أم على أصول الرأسمالية المادية؟
وهل كان إيمان الزوج واعتقاده ظاهرا واضحا عندما تقدم للزواج؟ أم زواجا عالمانيا بصورة دينية؟

ثم هل يلزم للزواج المستقر أن يقرّ الزوجان بكل ما يقر به أحدهما؟
ماذا عن قصص الطلاق بسبب تصويت لبرنامج هواة أو اختلاف على مباراة برشلونة ومدريد؟

ولكن العلماء اختلفوا على أمر تهنئة المُخالفين بأعيادهم الدينية، أليس كذلك؟
أي اختلاف؟ وأي علماء؟

هل اختلف علماء القرون الأولى؟ أم أننا لم نعرف الاختلاف والخلاف في أمر كهذا إلا قريبا؟
هل كل اختلاف سائغ مقبول؟ وهل كل عالم عالم؟
هل مجرّد انتساب شخص إلى مؤسسة أكاديمية شرعية يجعل منه من أهل العلم؟
لماذا لم نسمع عن هذه الآراء المنهزمة إلا في القرن الأخير؟
لماذا يعجز القائلون بجواز التهنئة أن يأتوا برأي ولو عالم واحد من القرون الأولى؟
ماذا عن اختلاف العلماء اليوم على أحكام المواريث وفرضية الحجاب الشرعي وغيرها من ثوابت؟
ماذا عن إصرار بعض العلماء على التقارب مع الشيعة مثلا، ثم ندمهم لاحقا على ذلك؟

أليس الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان، والإمام الشافعي فعل ذلك بين بلدين؟

- الإسلام كل متكامل
- لا تغيّر في الأصول، ولكن ربما تبدلت الأحكام المتجددة المتعلقة بأعراف متبدلة أو علل مؤقتة = لا يُنكر تبدل الفتوى بتبدل الزمان
- الأحكام تدور في فلك مقاصد الشريعة
- الشافعي لم يغير أصولا، بل تجدد له آراء وروايات لم يعلمها من قبل، وهو من طلب التخلص من كتبه القديمة.
- ليس من الدين أن يتأثر عالم بظروف سياسية.

والغريب أن نقبل كثيرا من المُداهنات من البعض ولا نقبل تشدد البعض في ظروف يستأسد فيها أعداء الدين

سؤال: ما الذي أحتاجه إذا لم أفهم شيئا مما مضى ذكره في الرسالة هنا؟
إما مادة [فقه النفس] إذا كان المقصود هو المنظور النفسي
أو البحث عن دورات لتأصيل النفس بالأصلين: أصول الدين + أصول الفقه

وأخيرا، وباختصار شديد: أين المشكلة في كل هذا؟ ولماذا كل هذا التعقيد والتفصيل؟

- أين كياني وهويتي ووجودي؟
- أليس الأصل أن للنفس وجودا؟
- أليس من لوازم وجود النفس أن يكون لها كيانا ربما جعلها تصطدم بغيرها؟
- أليس من لوازم وجود النفس أن وجودها يعني أني لست عدما أو لا شيء؟
- أليس الأصل في النفس السويّة أن تُظهر اعتقادها؟
- أليس من صور القصور الروحي: ضعف النفس عن مواجهة تيار الأعراف والعادات؟
- أليست الوسطية صعبة والتطرف سهلا؟

- أليس من صور الصعوبة: القدرة على الجمع بين الاعتزاز بالإيمان والبر والقسط؟
- هل أعتني بتهنئة أعداء الوطن أو المخالفين لي سياسيا في مناسباتهم مثلا؟
- هل أعتني بتهنئة الشيعة أو المخالفين لي فكريا أو مذهبيا في مناسباتهم مثلا؟
- هل أعتني بتهنئة قاطعي رحمي؟
- هل أستطيع أن أهنئ المُخالفين بعبارات أعنيها لكنها ربما تذكرهم باعتقادي ببطلان دينهم؟

سؤال متكرر: ولكن ماذا عن أقوال المُخالفين لما جاء في هذه الرسالة من أهل العلم والدعوة والوعظ؟
اسألوهم هم، وعند الله تجتمع الخصوم

هل من نصيحة أخيرة وخاتمة؟

- {رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفّني مسلما وألحقني بالصالحين 101} {يوسف}
- {قل إني أُمِرتُ أن أعبد الله مُخلِصا له الدّين 11 وأُمِرتُ لأن أكون أول المسلمين 12 قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم 13 قل اللهَ أعبد مخلصا له ديني 14 فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخُسران المبين 15 ..... قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون 46} {الزمر}
- {ونفس وما سواها 7 فألهمها فجورها وتقواها 8 قد أفلح من زكاها 9 وقد خاب من دسّاها 10} {الشمس}

هذا والله تعالى أعلى وأعلم
والسلام
الفقير إلى عفو ربه
عبدالرحمن